

الإنسان غير مؤهل ليعيش من دون معتقد

مقاربات فلسفية وأدبية وحتى علمية طالت الدين، بمختلف حمولاته التاريخية والفكرية والأخلاقية وحتى الأدبية والأسطورية والجمالية وصولاً إلى أدواره النفسية، في كل عصر يفكك الدين ليعاد فهمه أو صياغته، واليوم في ظل انتشار العنف الديني وتهديده للسلام البشري والمجتمعات الحديثة بات لزاماً على المفكرين إعادة تفكيك المنظومة الدينية لتوفير فهم معاصر له يمكننا من ترسيخ ثقافة التسامح.

تونس - هل يرتهن التوازن السيكولوجي بالمعتقدات؟ هل من مشروعية لمعيش خال من المعنى؟ ما طبيعة العلاقة العلية بين المعتقد والخلفية المعرفية؟ كيف تحد بعض المعتقدات من فاعلية الإنسان؟ ليس الوعي الأسطوري الحاضرة الأساسية للدغمايين؟

اليست المعتقدات مرتبطة عضويًا بسياقاتها التاريخية؟ كيف تستثمر بعض المقاربات السياسية ذاك الوعي الوتوقفي؟ السنا بحاجة إلى يقظة الحس الإشكالي؟ كيف يقطع التفكير النقدي - النير مع المنطق التسليمي؟ تلك هي أبرز الإشكالات التي تدق في أصولها وفصولها الكتاب الجماعي الذي جاء بعنوان "الاعتقاد"، والذي نشره المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "ليب الحكمة".

يتضمن الكتاب، الصادر باللغة الفرنسية، وبإشراف الباحثين رياض بن رجب ووحيد السعفي، دراسات لباحثين مختصين ومفكرين تونسيين وأوروبيين قد فككوا العلل النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للمعتقدات، موضحين انعكاساتها وبعض إمكانات الخلاص من وثوقياتها المكبلة للنقد والتأسيس.

في مقدمة الكتاب يؤكد كل من أستاذ الطب النفسي السريري رياض بن رجب، وأستاذ الحضارة العربية - الإسلامية وحيد السعفي على أن الإنسان من الزاوية الأنتروبولوجية غير مؤهل لخوض تجربة المعيش في ظل الفراغ، لأنه حسب قولهما «بحاجة إلى الاعتقاد في أنسقة أيديولوجية، فلسفية، دينية، تضفي المعنى على الظواهر الوجودية».

وفي رايهما تمثل المعتقدات بقطع النظر عن مدى وجاهتها إشباعاً لاحتياجات نفسية تجمع مناهج التحليل النفسي ومخابر المعالجات الإكلينيكية حول نجاعتها، ألم يؤكد كارل يونغ مؤسس علم النفس التحليلي على «أن الإنسان مستعد لإنتاج الوهم من أجل تآثيث الفراغ»؟

ونستخلص ممّا تقدّم العلاقة العلية الوثيقة بين المعتقدات ووظائفها ذات الصلة بقضايا الكيان الإنساني، «فلا وجود لعقيدة إن كانت فردية أو جماعية متعالية، بل تنزّل في سياق تاريخي محدد.. فهي استجابة لما هو وجودي واجتماعي في أن» كما يقول المفكر عبدالمجيد الشرفي، رئيس مجمع بيت الحكمة، في دراسته حول العقائد، حيث يسلم في هذا السياق بضرورة استيعاب كل المعتقدات ضمن سياقاتها التاريخية، بما تعنيه تلك السياقات من اعتبارات اجتماعية وسياسية وفكرية، لأن المعيش في حدوده الاقتصادية والسياسية والمعرفية محدد لتشكل الوعي، وهو ما يعبر عنه في المعجم الأنتروبولوجي بمسار التشريط الثقافي.

لذلك يرفض الأستاذ عبدالمجيد الشرفي اجتناس المعتقد من بيئته ومصادره المعرفية السائدة، مستشهداً

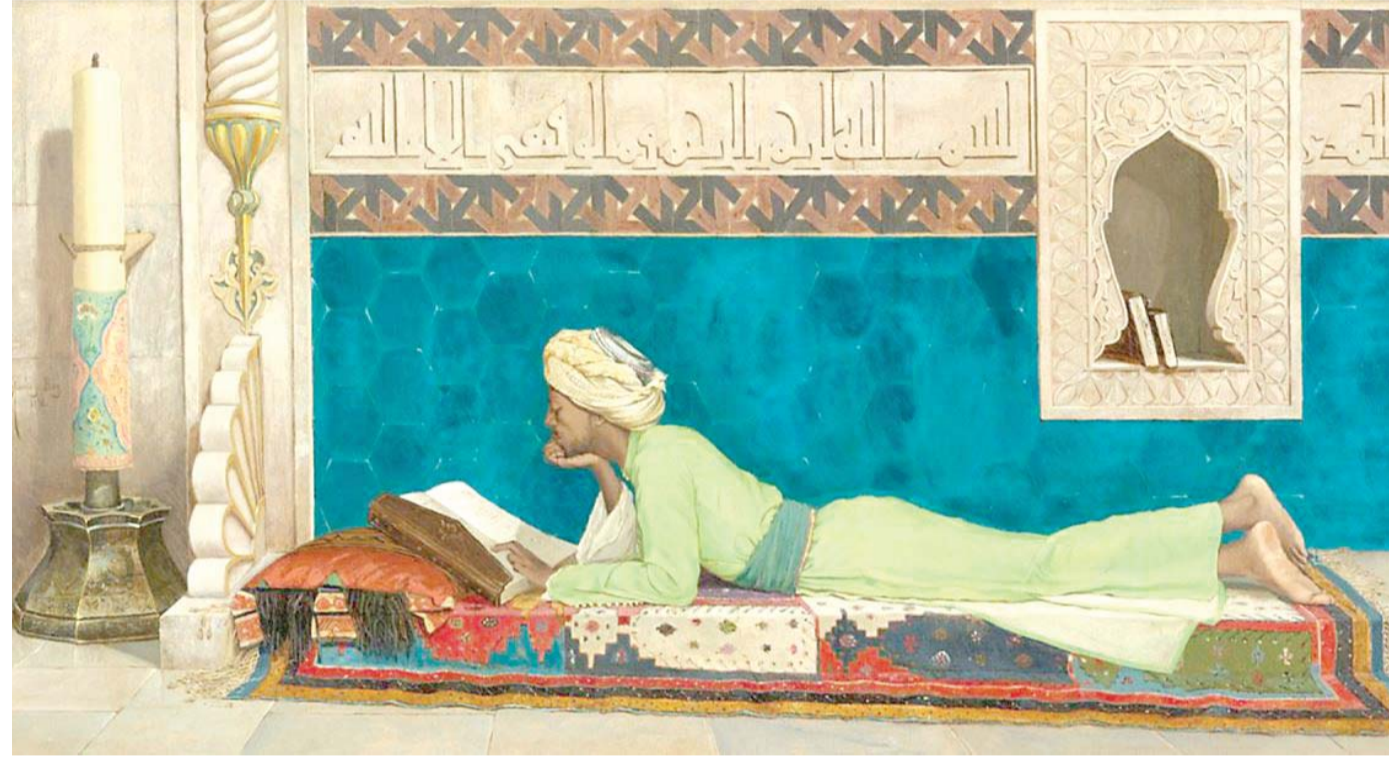
بقوله: «المعتقدات هي تلك السياقات التي ترتبط بها حياة الإنسان، وهي التي تعطيها معنى، وهي التي تجعلها قابلة للحياة». ويضيف: «المعتقدات هي تلك السياقات التي ترتبط بها حياة الإنسان، وهي التي تعطيها معنى، وهي التي تجعلها قابلة للحياة».

المعتقدات هي تلك السياقات التي ترتبط بها حياة الإنسان، وهي التي تعطيها معنى، وهي التي تجعلها قابلة للحياة».

الفراغ يهدد البشر (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

المخطوطات لبنة أساسية في بناء الحضارة الحديثة

«المخطوطات والتراث العربي» كتاب يجمع الأدب بالعلم



المخطوطات تكشف تاريخ المعارف

أو القوافي هو الكشاف الذي تسرد فيه أسماء الأشخاص أو الأماكن الواردة في الكتاب بترتيب هجائي ييسر الوصول إليها.

و«فهرست ابن النديم» عمل ببلجورافي بأدق معاني الكلمة لأنه يخصي الكتب التي ألفت باللغة العربية أو ترجمت إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة 377 هـ، كما نص على ذلك صراحة في مقدمته.

وضع الدكتور عبدالستار الحلوجي كتابه هذا في مقدمة جزائين، ملقياً الضوء بأسلوب أدبي راق، وتناول علمي محكم، على عالم المخطوطات والفهارس، والتباطؤها بالتراث، ملقياً نظر الكثيرين منا، من غير ذوي الاختصاص، إلى أن الفهارس والبيبلوجرافيات، وإن دخلتا سويًا تحت مظلة الأعمال البيبلوجرافية، إلا أن لكل منهما وظيفة مختلفة، فالفهرس يخصصي المكتبات الموجودة في مكتبة ما، أما البيبلوجرافيا فإنها تخصصي المؤلفات في موضوع معين، أو التي كتبها شخص معين، بغض النظر عن وجودها في المكتبة أو عدم وجودها.

وهو يشير إلى أن وظيفة الفهرس التعريف بمقتنيات مكتبة من المكتبات، أما القوائم البيبلوجرافية فمجالها أوسع، ووظيفتها حصر الإنتاج الفكري والتعريف به، بصرف النظر عن الأماكن التي يوجد بها.

وقديما قالوا: خط مشهور خير من فصيح مهجور. ومعنى هذا أن الكاتب ينبغي أن يخاطب قراءه باللغة التي يفهمونها حتى لو لم تكن هي اللغة المثلى، ولا يعني ذلك أن يمتدد الكاتب على اللغة وقولها ودلالات ألفاظها، وإلا أصبح الخيار بين خطأ مشهور وخطأ مهجور، لا بين خطأ مشهور وفصيح مهجور؛

ولأننا نعيش في عصر يوصف بأنه عصر المعلومات، الذي شهد طفرة في تقنيات المعلومات، ووسائل اتصال لم تعرفها البشرية من قبل، فإن هذا، بحسب تعبير الحلوجي «يفرض علينا أن نعيد من التقدم العلمي الهائل والمتسارع في حصر تراثنا الفلسفي المخطوط، وتحديد ما تم تحقيقه منه وما لم يحقق بعد، ورسم خارطة لما نشر منه نشرًا علميًا، وما لم ينشر، أو ما يحتاج إلى إعادة تحقيق ونشر.

وبذلك نكون وضعنا خارطة تكشف لنا عن مواضع القصور لعلاجها، وأوجه الخلل لتلافيها، بل إنني لأضفي إلى ما هو أبعد من ذلك، فاطالب بضرورة حصر الجهود الجارية في تحقيق النصوص الفلسفية داخل الجامعات وخارجها تجنباً للوقوع في أي نوع من التكرار لجهود علمية بذلت من قبل، أو تبذل في الوقت الراهن.

المخطوطات أهمية كبيرة من نواح مختلفة سواء التاريخية أو العلمية أو الأدبية أو الحضارية والتراثية، لكن ليست كل المخطوطات صالحة في مضمونها لكل زمان ومكان، فهي متفاوتة القيمة، لذا فإن التعامل مع المخطوطات لا يجب أن يتوقف في حدود التعامل المعرفي والثقافي البحت، بل هناك زوايا مختلفة للتعامل مع المخطوطة شكلاً ومضموناً.

المصرية اللبنانية بالقاهرة، إلى أن تحقيق النصوص المخطوطة ضرورة يفرضها فقدان النسخ الأصلية التي كتبها المؤلفون، كما يفرضها تعدد نسخ الكتاب الواحد، وتفاوتها الشديد في درجة الدقة والاهتمام والتوثيق وتواريخ النسخ والملاحق المادية «كالخط والورق والزخرفة والتجليد».

مصطفى عبد الله

«المخطوطة» مفردة ذات سحر خاص، ما إن تذكر حتى يشعر المرء بأنه قد ركب بساطاً سحرياً وانطلق به إلى زمن الحضارة العربية في أوج ازدهارها وعظمتها، في العصر الأموي، والعباسي، والفاطمي.

وفي الحقيقة فإن الأمر لا يقتصر على الحضارة العربية فحسب، لأن الحضارات الأخرى كلها أسهمت في صنع المخطوطات بلغاتها المختلفة، فالكتابة فعل إنساني ملزم للبشر منذ مارسوا فعلها قبل سبعة آلاف عام.

وقد وصل إلينا من المخطوطات ما اتخذ شكل ورقة البردي، أو الحجر، أو ألواح الطين المحروقة، أو جلد الماعز، لكن المخطوطة في أشكالها كافة سافرت عبر الزمن حاملة نتفا من علوم وأخبار وحتى طرائف مثلت أهمية كبيرة لدارسي علوم تطور الإنسان.

المخطوطات والفهارس

جاء تراثنا العربي المخطوط لبنة أساسية في بناء الحضارة الحديثة، وحلقة ذهبية في سلسلة الإبداعات الإنسانية، غني بنفائسه، هذه النفاسة التي تستمد مقوماتها، إما من مضمون المخطوطة ومحتواها العلمي، وإما بسبب قدمها وندرتها، وإما لأنها مكتوبة بخط مؤلفها، أو أحد مشاهير العلماء أو الخطاطين، ومع ذلك يخطئ من يظن أن هذا التراث كله صالح للنشر؛ ففيه الغث والسمن، ولذلك بزغ علم المخطوطات، الذي وضع أصولاً للعلماء وأهل الاختصاص في كيفية التنقيب داخل المخطوطات، واستخراج كنوزها، ومن ثم نشرها على الناس لينتفعوا بها، وليعمق انتماءهم لهذا التراث الذي يجمع الأمة، ويشكل ضميرها ويصوغ وجدانها.

ويشير الدكتور عبدالستار الحلوجي، أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة القاهرة، في كتابه «المخطوطات والتراث العربي»، الصادر عن الدار

